مختصر
جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي

اختصره وعلق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

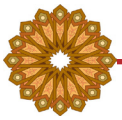

الحَدِيثُ السَّابِعُ والثَّلاثُونَ

■ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: فمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَها؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

الشَّرحُ

هذَا الحديثُ خرَّجَاهُ عَن ابنِ عبَّاسٍ، وفي رِوايةٍ لمُسلِمٍ زيادةٌ في آخِرِ الحديثِ؛ وهِيَ: «أَو محاهَا اللهُ، ولَن يَهلِكَ علَى اللهِ إِلَّا هالكٌ».

وفي المعنَى أحاديثُ كثيرةٌ.

فتضمَّنتْ هذِهِ النُّصوصُ كتابةَ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، والهمَّ بالحسنةِ والسَّيِّئةِ؛ فهذِهِ أربعةُ أنواعٍ:

النَّوعُ الأوَّلُ: عملُ الحسناتِ؛ فتُضاعَفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلَى سَبْعِ مِئةِ ضِعْفٍ، إلَى أضعافٍ كثيرَةٍ.

النَّوعُ الثَّانِي: عملُ السَّيِّئات؛ فتُكتَبُ السَّيِّئةُ بمِثْلِها مِن غيرِ مضاعفةٍ؛ كمَا قالَ تعالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾[الأنعام: ١٦٠].

لكنَّ السَّيِّئةَ تعظُمُ أحيانًا بشرفِ الزَّمانِ أو المكانِ؛ وكانَ جماعةٌ مِن الصَّحابة يتَّقونَ سُكنَى الحَرَمِ؛ خشيةَ ارتكابِ الذُّنوبِ فيهِ، مِنهُم: ابنُ عبَّاسٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ، وكذلكَ كانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ يفعلُ.

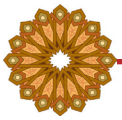

قـالَ إسـحاقُ بنُ منصـورٍ: قلـتُ لأحمدَ: في شـيْءٍ مِن الحديثِ؛ أنَّ السَّـيِّئةَ تُكتَبُ بأكثرَ مِن واحـدةٍ؟ قالَ: «لَا؛ مَا سَـمِعْنَا، إلَّا بمكةَ؛ لتعظيمِ البَلَدِ»، وقالَ إسـحاقُ بنُ راهويهِ كمَا قالَ أحمدُ.

النَّـوعُ الثَّالثُ: الهمُّ بالحسـناتِ؛ فتُكتبُ حسنةً كاملةً وإنْ لَـم يعمَلْهَا؛ كمَا في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ. وفي حديثِ خُريم بن فاتِكٍ: «مَن هَمَّ بحسـنةٍ فلَم يعمَلْها، فعَلِمَ اللهُ أنَّه قدْ أشعرَهَا قلبَهُ، وحـرَصَ عَلَيها؛ كُتبت لهُ حسـنةً»[1]؛ وهذَا يدلُّ علَى أنَّ المـرادَ بالهـمِّ هُنَا هُوَ: العـزمُ المُصَمِّمُ الَّـذِي يوجد معه الحـرصُ علَى العمـلِ، لَا مجـرَّدُ الخطـرةِ الَّتِي تخطـرُ ثُمَّ تنفسخُ، مِن غيرِ عزمٍ ولَا تصميمٍ.

ومتَى اقترنَ بالنِّيَّةِ قولٌ أَو سـعيٌ؛ تأكَّـدَ الجزاءُ، والتحقَ صاحبُهُ بالعاملِ؛ كمَا رَوَى أبو كبشةَ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٤/ ٣٢٢)؛ وابنُ حِبَّانَ (٦١٧١) -وانظر: تعليقَ محققِهِ عليهِ.

قـالَ: «إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رزقَهُ اللهُ مالًا وعِلْمًا؛ فهُوَ يتَّقِـي فيـهِ ربَّهُ، ويصـلُ بِهِ رَحِمَـهُ، ويعلمُ للهِ فيـه حقًّا؛ فهذَا بأفضلِ المنـازِلِ، وعَبْدٍ رزقَهُ اللهُ عِلْمًا، ولَم يرزقْهُ مالًا؛ فهُوَ صـادقُ النِّيَّةِ؛ يقولُ: لَو أنَّ لِي مالًا؛ لعملتُ بعملِ فُلانٍ؛ فهُوَ بنِيَّتِهِ، فأجرُهُما سواءٌ! وعَبْدٍ رزقَهُ اللهُ مالًا، ولَم يرزقْه عِلْمًا، فهـو يخبطُ فِي مالِهِ بغيرِ عِلْمٍ؛ لَا يتَّقِـي فيهِ ربَّهُ، ولَا يصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ولَا يعلمُ للهِ فيهِ حقًّا؛ فهذَا بأخبَثِ المنازِلِ، وعَبْدٍ لَم يرزقْهُ اللهُ مـالًا ولَا عِلْمًا؛ فهُوَ يقولُ: لَو أنَّ لِي مَالًا؛ لعملتُ فيهِ بعملِ فُلانٍ؛ فهُوَ بنِيَّتِهِ؛ فوِزرُهُما سَـواءٌ!»، خرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ، والتِّرمِذيُّ، وابنُ ماجَه[1].

وقدْ حُمِلَ قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُما في الأجرِ سواءٌ» علَى اسـتوائِهِما في أصلِ أجرِ العَمَلِ، دُونَ مضاعفةٍ؛ فالمضاعفةُ يختصُّ بِها مَن عَمِلَ العملَ، دُونَ مَن نواهُ فلَم يَعْمَلْهُ؛ فإنَّهما

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٤/ ٢٣٠)؛ والتِّرمِذيُّ (٢٣٢٥)؛ وابنُ ماجَه (٤٢٢٨)، قالَ التِّرمذيُّ: «هذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ».

لَو استَوَيا مِن كلِّ وَجْهٍ؛ لكُتِبَ لِمَن همَّ بالحسنةِ ولَم يعمَلْها عشرُ حسناتٍ؛ وهُوَ خلافُ النُّصوصِ كلِّها!

النَّوعُ الرَّابعُ: الهمُّ بالسَّيِّئاتِ مِن غيرِ عَمَلٍ لَها؛ ففِي حديثِ ابنِ عباسٍ: أنَّها تُكتَبُ حسنةً كاملةً، وفِي حديثِ أبي هُرَيرةَ قالَ: «إنَّما تركَها مِن جرَّايَ» يَعنِي: مِن أجلِي؛ وهذَا يدلُّ علَى أنَّ المرادَ مَنْ قَدرَ علَى مَا هَمَّ بهِ مِن المعصيةِ؛ فتركَهُ للهِ تعالَى؛ وهذا لا ريبَ فِي أنَّه يُكتَبُ لهُ بذلكَ حسنةٌ؛ لأنَّ تركَهُ للمعصيةِ عملٌ صالِحٌ.

فأمَّا إنْ همَّ بمعصيةٍ ثُمَّ تركَ عملَهَا خوفًا مِن المخلوقينَ، أَو مُراءاةً لَهم؛ فقدْ قيلَ: إنَّه يُعاقَبُ علَى تركِهَا بهذِهِ النِّيَّةِ؛ لأنَّ تقديمَ خوفِ المخلوقينَ علَى خوفِ اللهِ مُحرَّمٌ، وكذلكَ قصدُ الرِّياءِ للمخلوقينَ مُحرَّمٌ! فإذَا اقترنَ بهِ تركُ المعصيةِ لأجلِهِ؛ عوقبَ علَى هذَا التَّرْكِ!

وأمَّا إنْ سعَى في حصولِها بمَا أمكنَهُ، ثُمَّ حالَ بينَهُ وبينها القَدَرُ؛ فقدْ ذكرَ جماعةٌ أنَّه يُعاقَبُ عليها حينَئذٍ؛ لقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ تجاوزَ لأُمَّتِي عمَّا حدَّثَتْ بِهَا أنفسَهَا، مَا لَم تكلَّمْ بِهِ، أَو تَعْمَلْ**»(١)؛ ومَن سعَى في حصولِ المعصيةِ جَهْدَهُ، ثُمَّ عجَزَ عنهَا؛ فقدْ عَمِلَ! وكذلكَ قول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذَا التقَى المُسلِمانِ بسَيفَيهما؛ فالقاتِلُ والمَقتولُ في النَّارِ**»! قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هذَا القاتلُ؛ فمَا بالُ المَقتولِ؟! قالَ: «**كانَ حريصًا علَى قتلِ صاحبِهِ**»(٢)!

وأمَّا إن انفسختْ نِيَّتُهُ، وفتَرَتْ عزيمتُهُ مِن غيرِ سببٍ مِنهُ؛ فهلْ يُعاقَبُ علَى مَا همَّ بِهِ مِن المعصيَةِ، أم لَا؟ هذَا علَى قِسْمَيْنِ:

أَحدهما: أَن يكونَ الهمُّ خاطرًا خَطَرَ، ولم يساكنْهُ صاحبُهُ،

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٥٢٦٩)؛ ومُسلِمٌ (١٢٧).
(٢) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٣١)؛ ومُسلِمٌ (٢٨٨٨).

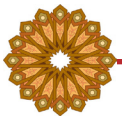

ولـم يعقِدْ قلبَـهْ عليهِ؛ بلْ كرهَـهُ ونفرَ مِنهُ؛ فهـذَا معفوٌّ عَنهُ؛ وهُوَ كالوَساوسِ الرَّديئةِ الَّتِي سُئِلَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنهَا؛ فقالَ: «ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ»[1].

القِسْمِ الثَّانِي: العزائـم المصمِّمـة الَّتِي تقـعُ في النُّفوسِ وتدومُ، ويُساكنُهَا صاحبُها؛ فهذَا أيضًا نَوعانِ:

أَحدُهمـا: مَا كانَ عملاً مسـتقلًّا بنفسِهِ مِن أعمالِ القلوبِ كالشَّـكِّ في الوحدانيَّةِ، أَو النُّبُوَّةِ، أَو البعثِ، أَو غير ذلكَ مِن الكُفْرِ والنِّفاقِ؛ فهذَا يُعاقَبُ عليهِ العَبْدُ، ويصيرُ بذلكَ كافرًا أَو منافِقًا.

ويُلحَقُ بهذَا القِسْمِ: سـائرُ المعاصِي المتعلِّقـةِ بالقلوبِ؛ كمحبَّةِ مَا يبغضُهُ اللهُ، وبُغْضِ مَا يحبُّهُ اللهُ، والكِبْرِ، والعُجْبِ.

النَّـوعُ الثَّانِي: مَا لَم يكنْ مِـن أعمالِ القلوبِ؛ بلْ كانَ مِن

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ (١٢٦).

أعمالِ الجوارِحِ؛ كالزِّنَا، والسَّرِقَةِ، وشُربِ الخَمْرِ، والقتلِ، والقذفِ، ونَحْوِ ذلكَ: إذَا أصرَّ العَبْدُ علَى إرادةِ ذلكَ، والعزمِ عليهِ؛ ففي المؤاخذَةِ عليهِ قولانِ مشهورانِ للعُلماءِ:

أَحدُهما: يؤاخذُ بـهِ؛ ورَجَّحَ هذَا القولَ كثيـرٌ مِن الفقهاءِ والمحدِّثيـنَ والمتكلِّمينَ مِن أصحابِنا وغيرِهِم؛ واسـتدلُّوا لـهُ بنحـوِ قولِـهِ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقـرة: ٢٢٥]، وقولِهِ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقـرة: ٢٣٥]، وبنحـوِ: «الإثـمُ: مَـا حـاكَ في صَدْرِكَ، وكرِهـتَ أَن يطَّلعَ عليهِ النَّـاسُ»[1]. وحملُوا قولَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ تجاوزَ لأُمَّتِي عمَّا حدَّثَتْ بهِ أنفسَـها، ما لـم تكلَّمْ بـهِ، أَو تَعْمَلْ»[2] علَـى الخطـراتِ؛ وقالُوا: مَا سـاكنَهُ العَبْدُ، وعقدَ قلبَـهُ عليهِ؛ فهُوَ مِن كَسْـبِهِ وعملِهِ؛ فلَا يكونُ معفُوًّا عَنهُ.

(١) وهُوَ الحديثُ السَّادِسُ والعِشْرُونَ مِن «الأربعين النَّوويَّة».
(٢) وهُوَ في «الصَّحيحينِ» -كمَا سبقَ قريبًا-.

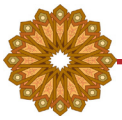

ومِن هؤلاءِ مَـن قالَ: إنَّه يُعاقَبُ عليـهِ في الدُّنيا بالهمومِ والغمومِ. وقيلَ: بلْ يُحاسَـبُ العَبْدُ بهِ يومَ القيامةِ؛ فيَقِفُهُ اللهُ عليهِ، ثُمَّ يعفُو عَنهُ، ولَا يُعاقبُهُ بهِ؛ فتكونُ عقوبتُهُ المحاسبَةَ، وهذَا هُوَ اختيارُ ابنِ جريرٍ.

القَـوْلُ الثَّانِي: لَا يؤاخَذُ بمجرَّدِ النِّيَّةِ مطلقًا. ونُسَـب ذلكَ إلَى نَصِّ الشَّـافعيِّ، وهُوَ قولُ ابنِ حامدٍ مِن أصحابِنَا؛ عملًا بالعُمُوماتِ.

قولُه في الحديثِ في رِوايةِ مُسلِمٍ: «أَو محاهَا اللهُ»:

يَعنِي: أنَّ عملَ السَّيِّئةِ إمَّا أَن تُكتبَ لعاملِهَا سَيِّئَةً واحدةً، أَو يمحُوها اللهُ بما شاءَ مِن الأسبابِ؛ كالتَّوبةِ، والاستغفارِ، وعملِ الحسناتِ.

قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ولَا يهلِكُ علَى اللهِ إلَّا هالكٌ»:

يَعنِي: بعدَ هذَا الفَضْلِ العظيمِ مِن اللهِ، والرَّحمةِ الواسعةِ مِنهُ، بمضاعفةِ الحسناتِ، والتَّجاوزِ عَن السَّيِّئات؛ لَا يهلِكُ علَى اللهِ إلَّا مَن هلكَ، وتجرَّأَ علَى السَّيِّئاتِ، ورغبَ عَن الحسناتِ، وأعرضَ عَنها.

ولهذَا قالَ ابنُ مسعودٍ: «ويلٌ لِمَن غلبتْ وحْدانُهُ عشراتِهِ»[1]!

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ، وأبو داودَ، والنَّسائيُّ، والتِّرمِذيُّ، مِن حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عمرٍو، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَّتانِ؛ لَا يُحصيهما رجلٌ مُسلِمٌ إلَّا دخلَ الجنَّةَ وهُمَا يسيرٌ، ومَن يعملُ بهِمَا قليلٌ: تسبِّحُ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشرًا، وتحمدُهُ عشرًا، وتكبِّرُهُ عشرًا»؛ قالَ: «فتلكَ

(١) يَعنِي: أنَّ مَن غلبتْ سيِّئاتُهُ (وهِيَ: الوحدانُ) حسناتِهِ (وهِيَ: العشراتُ)؛ فهُوَ خاسرٌ؛ فويلٌ لهُ! وإنَّما سُمِّيَت السَّيِّئاتُ بالوحدانِ؛ لأنَّ الواحدةَ مِن السَّيِّئاتِ لَا تُكتَبُ إلَّا واحدةً، وكذلكَ قالَ في الحسناتِ إنَّها عشراتٌ؛ لأنها تُكتَب بعشرِ أمثالِها.

خمسونَ ومئةٌ باللِّسانِ، وألفٌ وخمسُ مئةٍ في الميزانِ! وإذَا أخذتَ مَضْجَعَكَ تسبِّحُهُ وتكبِّرُهُ وتحمدُهُ مئةً؛ فتلْكَ مئةٌ باللِّسانِ، وألفٌ في الميزانِ! فأيُّكم يعملُ -في اليومِ واللَّيلَةِ- ألفَيْنِ وخمسَ مئةِ خطيئةٍ؟!»[1].

(١) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ١٦٠)؛ وأبو داودَ (٥٠٦٥)؛ والتِّرمِذيُّ (٣٤١٠)؛ والنَّسائيُّ (٣/ ٧٤)، قالَ التِّرمذيُّ: «هذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ»؛ وصحَّحَه الشَّيخُ الألبانيُّ في «صَحيح التَّرغيبِ والتَّرهيبِ» (٦٠٦).
وقدْ سألَ الصَّحابةُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقالُوا: كيفَ هما يسيرٌ، ومَن يعملُ بِهما قليلٌ؟ فقالَ: «يجيءُ أحدَكُم الشَّيطانُ في صلاتِهِ؛ فيذكِّرُهُ حاجةَ كذَا وكذَا؛ فلَا يقولُها! ويأتيهِ عِندَ منامِهِ؛ فينوِّمُهُ؛ فلَا يقولُها!». قالَ الرَّاوِي: «ورأيتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعقدُهُنَّ بيدِهِ».